

## السيرة الذاتية في رواية (أوراق) لعبد الله العروي

**Biographical in the novel (Paperts) by Abdullah Al-Aroui**

سوهة رومي جامعة أكلي محمد أولحاج البويرة (الجزائر) s.roumi@univ-bouira.dz

تاريخ الاستلام: 2022/01/12 تاريخ القبول: 2022/06/05 تاريخ النشر: 2022/12/15

**ملخص:**

حاولنا في هذا المقال إثبات مزاجية عبد الله العروي بين ما هو سير ذاتي وما هو روائي، في رواية أوراق (سيرة إدريس الذهنية) وخاصة هذا العنوان الفرعي الذي أثار جدلا بين النقاد، من منظوره السير الذاتي لأن عبد العروي وقع فعلا في أزمة السيرة الذاتية، قاصدا السيرة الذهنية، وبناء على ذلك حاولنا إزالة الغموض عن مفهوم السيرة الذاتية وعلاقتها بالعمل الإبداعي أو الرواية، متتبعين آثارها في النص الروائي من خلال رصد حياة الطفل اليتيم، ومرآة الأنا المتشظية، لننتقل بعدها إلى علاقة المؤلف بالشخصية الرئيسية.

**الكلمات المفتاحية:** السيرة الذاتية، الرواية، السارد، الشخصية الرئيسية، الذات.

**Abstract:**

In this article, we tried to prove Abdullah Al-Aroui's marriage between what is autobiographical and what is novel, in the novel Awaq (Idris's Mental Biography), especially this sub-title, which sparked controversy among critics, from his autobiographical perspective, because Abdul Laroui actually fell into a biographical crisis, Intended to the mental biography, and accordingly we tried to demystify the concept of biography and its relationship to the creative work or the novel, tracing its effects in the narrative text by monitoring the life of the orphan child, and the mirror of the fragmented ego, to move then to the author's relationship with the main character.

**Keywords:** biography, novel, narrator, main character, self.

## مقدمة:

لم تعرف السيرة الذاتية في البلاد العربية جنسا قائما بذاته مجلو الملامح، واضح المقومات، إلا خلال النصف الثاني من القرن العشرين، وذلك إثر صدور سير ذاتية بأقلام أدباء مشهورين وسموا الجنس بخصائصه المعلومة؛ كأحمد أمين، وعباس محمود العقاد، وطه حسين، وتوفيق الحكيم، وميخائيل نعيمة، ومحمد شكري، ونجيب محفوظ، وحنا مينة، وغيرهم.

ولقد أدى اتساع المدونة السير ذاتية في الأدب العربي، إلى اهتمامنا بهذا الجنس الأدبي الفتي، لما فيه من طرافة وعمق لا يقلان عن ما خبرناه في المدونات الأجنبية (طريطر، جليلة، 1998، صفحة 146) وأما مشغلنا في هذا المقال فيتناول جنس السيرة الذاتية من وجهة نظر ابداعية، تجمع بين الرواية والسيرة الذاتية، وسيتخذ من رواية أوراق (سيرة إدريس الذهنية) مثالا. فماذا نقصد بالسيرة الذاتية؟ وما هي أهميته في إعادة مساءلة الجنس الأدبي؟ وما أبرز تجليات رواية السيرة الذاتية في المدونة النصية التي تخيرناها؟.

## 1. بين السيرة الذاتية والرواية:

لقد حاول "فيليب لوجون" بصرامة منهجية أن يحد السيرة الذاتية؛ حين صاغ تعريفه المتداول بالقول: ((هي قصة ارتدادية نثرية يروي فيها شخص واقعي وجوده الخاص، مركزا حديثه في حياته الفردية بوجه خاص في تاريخ شخصيته)) (فيليب، لوجون. تر عمر حلي، 1994م، صفحة 12).

ومن هنا سعى "لوجون" إلى وضع حدود أربعة للسيرة الذاتية باعتبارها جنسا قائما بذاته، وهي: شكل اللغة، والموضوع المطروق، ووضعية المؤلف، ومنظور السرد. وبذلك سيح "لوجون" المفهوم، وحد من الاختلاف والتنوع والفرضيات الممكنة.

ولهذا نقده بشدة نقاد عديدون أهمهم "جورج ماي" في كتابه (السيرة الذاتية)؛ حين عمل على زعزعة هذه الوثوقية، داعيا إلى ضرورة دراسة نزعات السيرة الذاتية المميزة، من أجل الوصول إلى نظرية في السيرة الذاتية مرنة تعتمد منهج الاستقرار، وتحترم طبيعة النصوص وتناميها عبر العصور.

ولهذا اقترح "جورج ماي" تتبع ما في السيرة الذاتية من ثوابت وتعقب متحولاتها والنزعات الموجودة فيها، ثم احصاءها لبلوغ التعريف المرجو.

ذلك أن كاتب السيرة الذاتية يسرد حياته على أنها ضرب من الإبداع قبل كل شيء، يرفض القيود، ويتيح لنفسه من الحرية وخوض مغامرة الكتابة ما تتيحه كل كتابة إبداعية لنفسها، (شكري، المبخوت، 1992م،

صفحة 10) وبهذا الاعتبار تتيح السيرة الذاتية للروائي عن الذات، وتسمح له بتشخيصها ورواية ما بقي عالقا بذكرته من حياته.

وانطلاقاً من اعتبار أن كل سيرة هي رواية لما تحمله من جانب حكائي، فإن "أوراق" تعد رواية بامتياز لما تحويه من تشخيص للواقع ومحاكاة المرجع وكتابة الذات. ألا يمكننا القول بهذا المعنى إن السيرة الذاتية شكل أدبي بصدد التشكل، لا يزال يستعير بقوة مقوماته الفنية من الأجناس السردية القريبة منه؟.

## 2\_ سيرة ذاتية أم سيرة ذهنية؟

تعتبر رواية أوراق امتداداً لنصوص سابقة كتبها "عبد الله العروي"، وتعامل مع نصوصه على أساس أنها رواية، وما يميز رواية أوراق هو العنوان الفرعي الذي كتب على الغلاف (سيرة إدريس الذهنية)، ولم يعلن عبد الله العروي منذ البداية عن جنس عمله بالتحديد، إن كان رواية، أم سيرة ذاتية، بل بث إشارة مرافقة للعنوان (سيرة إدريس الذهنية) وهذا يوحي بالالتباس الذي يقع فيه القارئ، بين تحديد جنس الرواية بأنها سيرة أو سيرة ذاتية.

ولقد أدهشنا "عبد الله العروي" في روايته أوراق بأن ما جاء على الغلاف (سيرة ذهنية) ليس كما اعتقد الروائي أن تسير روايته كما يشتهي، بل إنه وقع في أزمة السيرة الذاتية، أي أنه صور الوقائع والأحداث وسلوكات جرت في الماضي، وأعاد تشخيصها في قالب فني/روائي كتب في سطور مقدمتها أو خاتمها، مواجهة حقيقة ذاته الخفية في مرآة الحق واليقين، أي تعرية الأنا أمام الآخرين وفضح زيفها أو التصريح لهم على الأقل ببعض أخطائها وذنوبها، وهذا ما نطلق عليه السيرة الذاتية.

## 3\_ مرآة الأنا المتشظية:

يتمثل في تجربة الأنا؛ بين تخييل الذات والسيرة الذاتية، ومما لاشك فيه أن التجربة الشخصية للكاتب، تخيل على الحكيم الذاتي، أي على المعيش والواقعي، لأن الذاتي بدون واقع لا معنى له. قد يطابق بعضه مرحلة من مراحل حياة إدريس أو حياة أحد زملائه (عبد الله العروي، 2006م، صفحة 14). حيث يفجر الكاتب سيرته الذاتية؛ باستخدام طابع التخيل، على تفاصيل الحياة اليومية، ممرراً بذلك أفكاره الاجتماعية والسياسية، فيعود بالحكي إلى مراحل الطفولة فتستيقظ فيه \_ كما يقول واسيني

الأعرج\_«مدافن الطفولة والذاكرة، وتأتي الذكريات دفعة واحدة لتطل من القلب من عالم مملوء بالإخفاقات والانكسارات والأحلام (واسيني الاعرج، 1987م، صفحة 10) مؤثنا سيرته الذاتية بطابع التخيل الروائي، وهو ما نُطلق عليه (السيرة الروائية)، فيتداخل بذلك الراوي والروائي، على نحو يسرد فيه الراوي قصة حياته، فيكون هناك خلاف بين حياته التي يرويها، وحياته التي عاشها، ولكن هذا الخلاف ليس إلا صورة من صور الاختلاف القائم بين القول المسرود، أو الحدث المروي من جهة والخبرة المعيشة أو التجربة الحية من جهة أخرى (عبد العزيز شرف، 1993م، صفحة 38).

مما يعني أن الكتابة عن الذات صدى لصوت الذاكرة، وضروب المنسي المقموع؛ أو بشروح الذات وانكساراتها. ولتقصي مراحل حياة "إدريس" لا بد من معرفة العوامل التي أثرت على حياته، وساهمت في تكوين شخصيته، منذ الطفولة إلى الحاضر الذي يعيش فيه. يسترعي الانتباه في أوراق، مدى تشبث المؤلف بالمرآة الوظيفية، التي ينظر فيها إلى أصله وفصله، يستطلع فيها تجربته الذاتية.

إن "إدريس" في روايات "عبد الله العروي"، يمثل صورة المثقف العربي الذي صنعه "عبد الله العروي"، «فيقول: عندما خامرتني فكرة وصف الجو الثقافي الذي عاش فيه الجيل الذي أنتمي إليه ... كان لا مفر لي من أن آخذ إدريس رمزا لذلك الجيل (عبد الله العروي، 2006م، صفحة 05). في انتصاراته وانكساراته، في وحشته ودهشته التاريخية وغربته الجريحة بين الأنا والآخر. في شخصية إدريس يلقى القارئ صورة مكثفة للمثقف، أي لذلك الشخص الذي تتحدد مهمته، كما يقول العروي، في معالجته الأفكار ومباشرتها (مُجد الشيكرا، 2004م، صفحة 72، 73).

فيظهر "إدريس" في (أوراق) كفاعل ذهني وليس كبطل حوادث (مُجد الشيكرا، 2004م، صفحة 73) لأنه أدرك عمق الفجوة بين مغرب الخمسينيات، التابع والحمي والمستعمر وبين أوروبا الحداثية، التي تنصب نفسها كقوة امبريالية وكمركز ثقل حضاري. وقد تجذر وعيه بماتيك الفجوة الوسيعة، أثناء مقامه في فرنسا لاستكمال تعليمه الجامعي؛ حيث خبر عن كذب الإشكالية الغربية، وواجه بمسارة، أسئلة الهوية، والمغايرة، والتاريخ، والذاكرة. وإن كان "إدريس" بعيدا عن قضايا أمته أي أنه لم ينتم إلى أي حزب أو عشيرة، فإنه

شارك في قضايا أمته من خلال نقاشاته، وتحليلاته، لتلك المقالات، والروايات، وما تقوله الصحف، فقد ناظر وساجل وتورط في مطارحات إيديولوجية، وفلسفية ككل مثقف عضوي، لا يرتضي لنفسه أن يتخلف عن حركة التاريخ. إلا أن وعيه يتشظى حين يدرك عقدة مجتمعه على الصعيد الإيديولوجي، وعندما يتمثل حقيقته. بعبارة أخرى لم يكن "إدريس" يكتب ليحبر عن تجاربه المرة، بل ليصحح أخطاء الآخرين (عبد الله العروي، 2006م، صفحة 234). لكنه ينصدم عندما يرى في المرأة وعيه عبر وعي غيره، متشظ ومفكوك، لأن وعي إدريس بذاته وهويته وتاريخه، وأمته، لم يكن يجري بنوع من التخارج والممانعة والمخالفة، حيث يفصل إدريس عن نفسه ليتأملها منعكسة في مرآة، أو في جملة من المرايا المتضايقة والمتشظية.

ومن خلال ذلك تنقلب حياة "إدريس" رأساً على عقب، فتصبح سيرته الذهنية مخالفة لواقعه الذي انصدم في إيديولوجيته، وبذلك يمثل إدريس صورة المثقف العربي، إزاء تجربة الوعي بين الهوية والتشظي (مُجد الشيكري، 2004م، صفحة 72). وهذا ما تصوره الرواية الحدائثية، التي تعنى بتصوير الواقع الأليم والمزري، وتقع الشخصية الرئيسة في دائرة من اللامعنى، والضياغ فالشخصية الرئيسة في رواية (أوراق) ، تجسد بطلا منهارا ضائعا، ولكنه ليس ذلك الضائع الجاهل، بل هو بطل مثقف تلاشت معه معاني البطولة عندما خرجت الشخصية من الأحداث الماضية، والإطار التاريخي، وأصبحت حاضرة في الواقع المعاصر وتتعامل بأدواته وتقنياته الحديثة؛ وبالتالي فإن التشابه بين الشخصيات الرئيسة في الروايات الثلاث، يتجسد في أنها شخصيات مثقفة، خرجت من أزمة واحدة متعلقة بالمرجع الواقعي للحياة السياسية والاجتماعية للبلاد.

#### 4\_ مرآة / الطفل اليتيم:

ويتمثل ذلك عندما يسترجع السارد في أوراقه، بعضا من معاناة الطفولة التي عاشها "إدريس" الصبا في تعبيره جرح لا يندمل إلا بعد حين (عبد الله العروي، 2006م، صفحة 14، 16). وفي الوقت ذاته، لا يريد "إدريس" أن يتذكر تلك المعاناة لا يتذكر إدريس من دار أسرته إلا ما سماه خصوصية معمارية (عبد الله العروي، 2006م، صفحة 15). فكان يربط تفاصيل حياته، بالمنظر المعمارية في حيه

العتيق. هل هو هروب من الواقع؟، أم أنه يشكو أحزانه لتلك الجدران الصماء؟ حتى بات يريد الهروب منها ومن قرينته، ومن عائلته، فهي تذكره بأيام الفقر والبرد كان الفتى وحده في الحافلة جالسا على مقعد خشبي، يتألم من البرد. لم يكن يلبس صدرية صوفية ولا معطفا ولا جوارب. يلتفت من حين لآخر نحو النافذة، فتعكس في مقلتيه مناظر كئيبة مملّة. لطالما انتظر مغادرة البلدة النائمة التي ولد وترى فيها (...). ثم تحقّق الحلم، وانفصلت به شاحنة عن محيطه الطبيعي والعائلي (عبد الله العروي، 2006م، صفحة 17). لدرجة أن أصدقاءه لم يلاحظوا معاناته كنا نظنه سعيدا في الدار العتيقرفقة أبيه. كنا نرى أباه يشتغل بالتجارة. كنا نظن أن إدريس لا ينكر أعضاء أسرته الكبيرة... (عبد الله العروي، 2006م، صفحة 16). عاش في جو تقليدي محافظ مع أب عطوف وأخ متغطرس، وامرأتين أميتين << (عبد الله العروي،

2006م، صفحة 19) ضف إلى ذلك أنه ينتمي إلى الطبقة البرجوازية الصغيرة إن المثقف المنحدر من البرجوازية الصغيرة، يحمل دعوة تناقض أصولا، وأهدافا، ظروف حياته وميوله النفسية، وما ذاك إلا نتيجة أخرى للانقسام الموجود في مجتمعنا بين الوعي والواقع (عبد الله العروي، 1995م، صفحة 70). وكان حياته البئيسة في جو الأسرة لا يكفي في انشطار هذا الوعي حتى تكتمل بمشقة الدراسة.

وكان يسكن مع والده وزوجه، ومما لا شك فيه أن زوجة الأب، لم تحسن معاملته كما كانت الحال وهو صبي عندما كانت تسخره امرأة أبيه بعد الغروب قبل أن يوقد مصباح الشارع. ذات مرة استولى عليه الفزع فانطلق يجري. كان يلبس صندلا صيفيا فاصطدمت أصابع رجله بصم الرصيف. تألم وأحس بالدم يسيل في الحذاء لكنه لم يتوقف عندما لحق الدار وجد الظفر قد انغرس في حي اللحم. بقي سنوات يمنعه الداحوس من الاحتذاء.. يخطو خطوة فيسترجع الشعور المخبأ في سر ذاكرته.. (عبد الله العروي، 2006م، صفحة 20).

أضف إلى ذلك أنه عاش يتيم الأم، لم يعرف من حنائها، ولم يعرف من الأم إلا الاسم، فتولد له شعور بالنقص، وعاش في محيط فقير كئيب، يشعر نحو أبيه شعورا مزدوجا، واثقا أن غده سيكون أفضل من حاضره، بسبب عزمه على التفوق في دراسته هذا هو وضعه الخاص (عبد الله العروي، 2006م، صفحة 25). متأثرا بجروح وانكسارت اليتيم ماتت وهو صغير فوجه إلى غير ما أرادت (عبد الله العروي،

2006م، صفحة 13). ولم يعطه أحد أي اهتمام فعاش مهمشا من طرف أسرته يقف أمام الباب. يطرق كالعادة وكالعادة يجيبه الصمت (...). يطرق ثانية، وثالثة طرق معلومة، ثلاث ضربات قصيرة، وواحدة طويلة ثم يتراجع، ويجلس على المقعد الحجري، المبني داخل الصابنة (عبد الله العروي، 2006م، صفحة 15).

نفهم مما سبق أن السارد في رواية (أوراق) ليس بعيدا عن السارد في اعترافات (جان جاك روسو) حيث يبدأ سيرة الطفل اليتيم بمحدث المولد المشؤوم، وماتزامن معه من مأساة التسبب في الوفاة المبكرة للأمم وآلام فقداها، وأبوه الزوج العاشق لزوجته الجميلة، ف "روسو" في اعترافاته يعود إلى الأحداث الأولى المؤسسة أحداث الميلاد والطفولة. وكذلك سارد أوراق، وهذا التشابه ليس صدفة، بل إن رواد السيرة الذاتية لا تنجح أعمالهم السيرية بدون الرجوع إلى المرحلة الأولى من الطفولة المأساوية، أو كما يصورونها. ولكن السؤال الذي يطرح نفسه، من هو السارد في رواية أوراق؟ وهل يتداخل السارد مع المؤلف ومع الشخصية الرئيسة؟ ومن المعروف أن من شروط تحقق السيرة الذاتية عند فيليب لوجون هي تطابق السارد والمؤلف والشخصية الرئيسة.

#### 5\_ علاقة المؤلف بالشخصية الرئيسة:

المؤلف هو عبارة عن شخص متميز، فعندما يبدأ في التكلم تتكاثر الدلالات، والمعاني إلى مالا تحاية، فهو مبدع عبقرى لعمل يودع فيه تجربته الخاصة، أو واحدة من تجارب الآخرين، فهو عبارة عن مبدأ وظيفي معين في ثقافتنا، فبه يسبح القارئ في بحر متداول من الخيال، فيقوم بتحليله وصياغته، باعتبار أن المؤلف منتج إيديولوجي (تودوروف وآخرون، 1997م، صفحة 213). يميزه القارئ بهذه الطريقة، خشية التكاثر لإنتاج المعنى.

ومن المححف في حق المؤلف، أن نجعل دوره مقتصرًا فقط على إنتاج الخيال، بل إن معطيات الرواية التجريبية تستدعي من المؤلف، أن يمزج الخيال مع التجربة الفردية، وبذلك يتحقق مالم ينجزه مؤلفوا الروايات الكلاسيكية، من حيث إنه يوجد شخص في مكان المؤلف ليس هو المؤلف، ولكن لا بد من تحديده، وربما لا بد من لمسه (تودوروف وآخرون، 1997م، صفحة 213).

ومن خلال ذلك تتطور مسألة من يتكلم حقيقة في النص الروائي؟. هل هو فعلا أم هناك شخص آخر؟. بأية أصالة وأي أساس؟. وبأي جزء من ذاته العميقة يعبر في خطابه؟ وأي خطاب من خطابه يختص بها نفسه؟. وحين تكون هناك غرفة للدوات المحتملة، ففي أي الأماكن منها؟. ومن الذي يمكنه أن يأخذ تلك الوظائف الذاتية المختلفة؟. وبعبارة أخرى ما علاقة المؤلف بالشخصية الرئيسة؟. وهل وجود اسم المؤلف شرط ضروري على غلاف الرواية؟. وهل هناك تشابه بين المؤلف والشخصية الرئيسة؟. وأين يكمن هذا التشابه؟. وهل تعبر الشخصية الرئيسة عن أفكار المؤلف؟.

وفي هذا الشأن يقول "جيرار جينيت" إن اسم المؤلف، الذي يبدو لنا في يومنا ضروريا جدا وطبيعيا جدا، الذي لم يعد كذلك في التطبيق الكلاسيكي، إذ لم يفرضه اختراع الكتاب المطبوع، أين نجد هذا العنصر مدمجا، أو فارقا في جمل النص الأولى، أو الأخيرة وذلك في عهد الكتابات العتيقة(جيرار جينيت، 1997م، صفحة 31).

(تودوروف وآخرون، 1997م، صفحة 27) معنى ذلك أن اسم المؤلف لم يكن في موضع اهتمام في الروايات الكلاسيكية، والقديمة اليونانية خاصة، ولا يتساءل عن هوية مؤلفها لأن عدم وجوده لم يسبب أية مشكلة أو صعوبة تواجه القارئ وذلك لقدمها، وإن كان اسم المؤلف موجودا، فوجوده لا يهم إن كان خياليا أو حقيقيا، وحتى الكتب العلمية الخاصة بالكون، والطب، والعلوم، تم قبولها في العصور الوسطى حين نسبت إلى قائلها مثلا يقول "أبقراط" فكانت حجة على قبول هذه الأعمال، ومن خلال ذلك أصبح الخطاب الأدبي مقبولا، حين أعطيت له وظيفة المؤلف إننا الآن نتساءل عند كل نص شعري، أو قصصي من أين جاء؟ ومن الذي كتبه؟ ومتى وفي ظل أي ظروف؟ وانطلاقا من أي تصميم؟.

فإن اللعبة تصبح لعبة إعادة اكتشاف المؤلف، على الرغم من أن إغفال اسم المؤلف وارد جدا، وله أسباب خاصة، ولذلك نجد أن اسم المؤلف واضح، وغير مستعار أو مجهول بل هو الاسم الحقيقي لصاحب الرواية، وذلك بناء على المواقع الرئيسية الثلاثة، التي يتخذها المؤلف دون أن يأخذ في الحسبان بعض الحالات المختلطة.

فيصبح المؤلف كاتباً يكتب عن ذاته، وعن المجتمع المهم في فعل الكتابة أن نخلق مساحة تحتفي الذات الكاتبة فيها باستمرار (تودوروف وآخرون، 1997م، صفحة 201) ومع هذا الانصهار تظهر الذات المبدعة داخل الفرد، ولها دافع عميق، تتأصل منه الكتابة، وهذه المعطيات تجعل من الكاتب مؤلفاً فتنصهر ذاته، مع أوراق وكلمات الرواية.

ومن خلال ذلك تتجلى علاقة المؤلف، بالنص السير ذاتي، خاصة وأن السيرة الذاتية تصور لنا أبعاد كاتبها الثلاثة من خلال رؤياه هو: الداخلة والخارج والأعلى (عبد العزيز شرف، 1993م، صفحة 16). ومع ذلك كله فاسم المؤلف لا يتطابق مع اسم الشخصية الرئيسة. في هذه الرواية لأن الاسم التخيلي المختلف، عن اسم المؤلف الممنوح لشخصية تحكي حياتها أن تكون للقارئ دوافع، تجعله يظن أن الحكاية المعيشة، من طرف الشخصية هي حياة المؤلف بالذات (فيليب لوجون، تر عمر حلي، 1994م، صفحة 36). وفي هذه الحالة سيبحث القارئ عن المتشابهات، والدوافع التي تجعله يحكم على النص بأنه رواية السيرة الذاتية.

فيمكن للشخصية الرئيسة أن تشبه "إدريس"، وإذا كانت لا تحمل اسمه، فلماذا تحمل اسماً آخر؟ وإذا كان المؤلف هو نفسه الشخصية الرئيسة فلماذا لم يقل ذلك؟ هل تعتبر رواية السيرة الذاتية لعبة وأحجية تستدعي القارئ أن يفك هذا اللغز؟

ومن خلال النص يمكننا كقراء أن نعقد تشابهاً، بين المؤلف والشخصية الرئيسة؛ فنجد تشابهاً بين "عبد الله العروي" وإدريس، ولقد فطن "العروي" في مقدمة الرواية بتصريحه أن: أوراق إدريس هي حياته لكن حياته ليست كلها أوراقه (عبد الله العروي، 2006م، صفحة 14).

فإن تشابه المؤلف مع الشخصية الرئيسة، يجعل القارئ يعود إلى الميثاق المرجعي الذي يجيل إلى واقع خارج النص الروائي، خاصة وأن لـ "عبد الله العروي" مؤلفات كثيرة؛ كروايتي (اليتيم والغربة) أما (خواطر الصباح) فهي عبارة عن يوميات نجد فيها سيرة حياته الشخصية وتجربته، التي عاشها، بين المغرب، والسفر إلى فرنسا، وأمريكا، ثم عودته إلى بلاده، فنجد تطابقاً بين الأحداث الموجودة في اليوميات وتصريحاته في

مجال الصحافة، وبين قصة العبور أو الإدخال الموجودة في رواية أوراق والتي تخص بطل الرواية هو "إدريس"، خاصة وأن صوت السارد الخاص بـ "إدريس" هو صوت تجربة الأنا.

ومن خلال ذلك يتجسد لنا التشابه بين المؤلف، والسارد، والشخصية الرئيسة، في رواية (أوراق)، من حيث حياة المؤلف الخارجية، تشبه حياة الشخصية الرئيسة، وهي "إدريس"، من حيث النشأة وتاريخ الميلاد.

إذن ما علاقة "عبد الله العروي" بـ (أوراق)؟ هل هي أوراقه فعلا؟ خاصة وأن في النص نسبت هذه الأوراق لـ "إدريس" باعتباره الشخصية الرئيسة، فأوراق هنا هي أوراق "إدريس" وهو الموضوع الأساسي في الرواية، فما صلة المؤلف هنا بالموضوع؟.

لمعرفة صلة المؤلف بالموضوع، لا بد أن نعرف علاقة المؤلف بالشخصية الرئيسة، على الرغم من أن المؤلف عمد إلى أسلوب التضليل، فرمى كرة المؤلف في ملعب الراوي وشعيب فيقول قول الراوي قول من؟ قول شعيب قول من؟ أيهما قول المؤلف؟ (عبد الله العروي، 2006م، صفحة 07) فيجعلنا نعقد تشابها بين المؤلف والسارد، أي بين المؤلف وشعيب، بالرغم من أن إحدائيات الرواية لا تنفي ذلك، وفي الوقت ذاته تتجه معطيات الرواية، إلى أن هناك تشابها بين المؤلف والشخصية الرئيسة "إدريس" خاصة وأن المؤلف أشار إلى ذلك فيقول للقارئ أن يفصل له الحق أن يختزل الكتاب في أوراق إدريس، فقط ويستقل بالكلمة دون الراوي وشعيب. له الحق أن يحدد هوية هذا وذاك وكذلك هوية المؤلف، من خلال ما يعرفه عن الصديقية وما جرى لها. له الحق أن يرفض التمييز بين مؤلف كتاب "أوراق" وإدريس كاتب أوراق والراوي، جامعها ومرتبها وشعيب المعلق عليها وصاحب الكلمة الأخيرة في تأويلها (عبد الله العروي، 2006م، صفحة 07)

إذن هناك علاقة ثلاثية تجمع بين المؤلف والسارد والشخصية الرئيسة، وعلى القارئ أن يفك لغز هذا التمويه الذي وضعنا فيه الروائي سواء يقصد ذلك أو لا يقصده، فيقول في مقدمة روايته ما غرض المؤلف من هذه التعددية، من انعكاس الصورة في مرآيا متقابلة (عبد الله العروي، 2006م، صفحة 07) فعلا هي مرآيا متقابلة يتحد فيها ثلاث شخصيات في رجل واحد.

فهذا التشابه الذي نبحث عنه ليس تشابهاً بين الشخصية، ومكان نشأتها، وتاريخ ميلادها فحسب، بل إنه تشابه بين أفكار المؤلف، وأفكار الشخصية الرئيسة، ويتجلى ذلك من خلال النشأة التي نشأ عليها المؤلف وأنتج نصاً يطابق أفكاره ونشأته ونزعته الفكرية فنجد أن "إدريس" مشبع بالثقافة الغربية، ويناقش من خلال أوراقه أفكاراً إيديولوجية وفلسفية وتاريخية وسياسية، وهي الأفكار نفسها التي نجدتها في كتب المؤلف "عبد الله العروي" ورضاعته لهذه الكتب منذ الصغر أكسبته ذوقاً فكرياً لا يستهان به في السنة الخامسة من الثانوي سطعت شمس نيتشة على ذهن "إدريس". افتكر الآن أنه كان متأثراً به عندما كان يطالع سارتر ومالرو وجيد ولو كان لا يدرك هؤلاء إلا ما يدركه شاب في سن الثالثة أو الرابعة عشرة... (عبد الله العروي، 2006م، صفحة 29).

فلا تخلو ورقة من أوراق "إدريس" إلا وفيها فكرة إيديولوجية من أفكار "عبد الله العروي" المنتشرة في كتبه التحليلية، وهذه الأفكار التي يناقشها "إدريس" تربط تحقق النهضة العربية بنقد فكر التراث، واستيعاب فكر الحداثة.

بيد أن هذا التشابه لا يتوقف عند هذا الحد، بل يتعداه إلى موقف "العروي" و"إدريس" من واقع المغرب بعد الاستقلال حيث يبدو أكثر دينامية واحتجاجاً، خاصة وأن الكتابة الروائية للعروي جاءت في فترة بعد استقلال المغرب مباشرة، فمن المعقول أن يستخدم المؤلف روايته، ليمرر أفكاره ويلبسها لبطله "إدريس" فيقول قبل سنوات عندما قربت الأزمة من نهايتها وكثرت الإشاعات بتحقيق أعلى أمانينا، وشدت الوفود الرحال، للتهنئة بالفتح وسلامة العودة، أحسست بغتة إحساساً قويا أن المسيرة ستتعثر. فقلت لعمي الذي كان حاضراً: إننا كهذا الطير الذي قفز من المراح إلى الغصن، وهم أن يلحق بالسطح فما استطاع كما لو كان يربطه بالأرض خيط خفي. كذلك نحن، أحرار طلقاء لكن في حدود لا يجوز لنا أن نتعداها.. الواقع قفص (عبد الله العروي، 2006م، صفحة 135).

ومن خلال قراءتنا للرواية وجدنا أن "إدريس" من مواليد الصديقية. في أزمور يسكن في حي أطلق عليه درب العروي كان الرقاق يحمل اسم أسرته (عبد الله العروي، 2006م، صفحة 14). بالإضافة إلى إلمامه بثقافة جيلين: جيل ما قبل الاستقلال المغربي وجيل ما بعد الاستقلال، حيث درس الابتدائية

والإعدادية في أزموور، ثم في مدينة مراكش بعيد الحرب الكونية الثانية. مكثنا في ثانويتها أربع سنوات (عبد الله العروي، 2006م، صفحة 26). ثم أنهى دراسته الثانوية في ثانوية الرباط جئنا إلى ثانوية الرباط، إدريس وأنا وتلميذ ثالث، وجدنا محيطا آخر (...). تابعنا في الرباط حياتنا المراكشية (عبد الله العروي، 2006م، صفحة 28). فكان ذلك سنة 1950. فيقول شعيب في السنة الخامسة من الثانوي سطعت شمس نيتشه على ذهن إدريس (...). أتصفح كناشة 1950 فأكتشف خيطا واحدا يفصل بين جميع عناوين المقروءات والمقتطفات. يبدو أن السبب الذي دفع إدريس إلى تركيز اهتمامه على نيتشه هو التعمق في تحليل مسرحية راسين (عبد الله العروي، 2006م، صفحة 29). وبعدها زاول دراسته في كلية الآداب في الرباط وفي خريف 1952 عدنا إلى الرباط. تخلى إدريس في آخر لحظة عن دراسة الطب وسجل نفسه في قسم الآداب، بدون نية التخصص في الفلسفة (...). اتجه إلى دراسة العلوم الاجتماعية، التي كانت آنذاك مرتبطة بفنون الإدارة (عبد الله العروي، 2006م، صفحة 41).

ثم حصل على البكالوريا في ثانوية الرباط عام 1953، فيقول "شعيب": قد عرفته سنة 1953. بالرباط وقد قص مقدم حذائه ليتنفس إبهام رجله اليمنى (عبد الله العروي، 2006م، صفحة 16). واستدل على ذلك بأنه قضى أربع سنوات في مراكش وكانت رجله على ما يرام فيقول: حادثة أخرى. رأيتته في مراكش طوال أربع سنوات يتحذي البلغة والصباط بلا صعوبة (عبد الله العروي، 2006م، صفحة 16) وبعدها سافر إلى فرنسا لدراسة العلوم السياسية في باريس، وتزامن حصوله على الإجازة مع حصول المغرب على الاستقلال سافر إلى باريس يوم العاشر من أكتوبر. فاز بمنحة حكومية على شرط أن يهيئ المباراة العامة لولوج المدرسة الإدارية. ساعده على الفوز بها، علاوة على تفوقه في الامتحانات... (عبد الله العروي، 2006م، صفحة 71) ويستدل على تاريخ سفره وأنه تغير تماما فيقول: إن إدريس الذي حجج إلى مونتارت، قبل أن يغادر باريس أواخر غشت 1956. غير إدريس الذي طرق دار المغرب صباح عاشر أكتوبر 1953 (عبد الله العروي، 2006م، صفحة 72)

ومع ذلك استفاد من تنشئته في جمعه بين الثقافتين التقليدية والمعاصرة؛ فالثقافة التقليدية هي التي نشأ عليها في مدينته المتواضعة وبين عائلته، أما الثقافة المعاصرة اكتسبها من خلال سفره إلى فرنسا،

ومخالطته للشباب الغربي وأيضا من خلال قراءته للكتب، كان تحصيله العلمي عربي وغربي. فجعله ذلك مثقفا عربيا يجمع بين التحصيل الفني والعلمي والأكاديمي.

وجمع بين الكتابة الفكرية والإبداعية، يظهر ذلك من خلال تحليله للكتب الفلسفية، والفكرية تحليلا عميقا لا ينم إلا من ناقد فذ اكتسب مهارة عالية من خلال الدراية والمطالعة، أما كتابته الإبداعية فتظهر جليا في رسائله الغرامية التي كتبها لامرأة سلبت لب عقله، فجعلت منه كاتباً إبداعياً لا ينافسه أحد.

كل هذه العوامل التي تميز بها "إدريس" هي نفسها التي تميز بها المؤلف، وثبت ذلك من خلال الميثاق المرجعي، بخروجنا عن النص الروائي، فنجد تشابها بين المؤلف وبين الشخصية الرئيسة، من حيث أن العروي يعتبر نموذجا يحتذى به وله العديد من المؤلفات وكان قارئاً بارعا، وكاتباً فلذلك جسد صورة منه في روايته.

فكيف لنا أن لا نعقد التشابه بين المؤلف وبين السارد ويتحقق ذلك برجعنا إلى عقد القراءة، فالمؤلف هو السارد، على الأقل كان يلعب دور المحلل لأوراق "إدريس"، ويناقشها مع "شعيب"، ليس لأنه يهوى التحليل، أو يريد أن يضيف طابع المناقشة في الرواية، بل لأنه يحاول تبسيط أفكار تلك الأوراق، ولكن الروائي بتقنية التجريب أضفى عليها طابعا تحديثيا؛ بأخذ الصفات الخارجية لـ "عبد الله العروي"، ومطابقتها لـ "إدريس"، حتى يعتقد القارئ أن "العروي" هو "إدريس"، إلا أن الروائي أخذ الشخصية الواقعية التي تمثل الفرد/ المثقف المغربي، ورصد معاناتها وإحباطاتها وتاريخها، على عكس الشخصية الروائية التقليدية، التي كان الروائي يستمد أبطاله من التاريخ لا من الواقع، وبذلك يتحقق التجريب في رواية (أوراق) لعبد الله العروي، كما يتحقق شرط رواية السيرة الذاتية.

كذلك فإن رواية السيرة الذاتية تقبل التحفظ كما تقبل التعري، وإن ذات الروائي كما تجلت في الشخصية الرئيسة، فإنها تتجلى كذلك في فعل ممارسة التأريخ للحوادث، ولكل رواي مملكته الخاصة في سرد الوقائع والأحداث، كما هو حال عبد الله العروي المؤرخ الذي لم يتوان عن تجريب التاريخ روايته.

## 6\_ السيرة الذاتية والتاريخ:

باعتبار أن "عبد الله العروي" مؤرخ، فإن كتاباته تنطلق من تحويره واستغلاله لأسلوب المؤرخ في الكتابة، فهو يحاول أن يستغل ظروف كتابته التاريخية في جنس السيرة الذاتية، بمعنى أن يكون "عبد الله العروي" مؤرخاً ومبدعاً في الوقت نفسه، فهو مؤرخ من طراز خاص (موضوعه تاريخ الأنا) والشيء الآخر هو الخيال، لكنه خيال من نوع خاص أي إنه ليس خيالاً منطلقاً من غير قيود أو ضوابط، وإنما هو خيال أشبه ما يكون بحدوس المؤرخين، التي تلجمها المعطيات والمنهجية العلمية، فضلاً عن الأفق الاحتمالي للحقيقة المفترض أنها تاريخية (ليلي رحمانية، 2016م، صفحة 71)، وهذا ما يميز أسلوب "عبد الله العروي" في الكتابة الروائية يحاول أن يجعل من الرواية تأريخاً سير ذاتي.

ولذلك نجد "عبد الله العروي" يوضح هذا الخلق الإبداعي، بين التاريخ كمادة معرفية والسيرة كفن غني بالمهارات الإبداعية، فيأتي النص هجيناً، ثمرة تلاقح مكونين مختلفين تماماً، جمعا بين الفن والمعرفة، فيقول في كتابه (العرب والفكر التاريخي) عندما نجمع عدداً من الوثائق، بعضها مكتوب وبعضها مادي أثري، بعضها أدبي وبعضها إداري بعضها يهم الفكر، وبعضها يهم الأوضاع المعاشية، ثم عندما ينتهي كل متخصص من استغلال تلك الوثائق في دائرة اختصاصه، ماذا نفعل بها؟ هل نكتفي بجمعها وتلخيصها وترتيبها، أم نحاول أن نخطوا خطوة أبعد من ذلك؟. يجمع الناس على أن عمل المؤرخ ليس عمل الإخباري أو الموثق. ينتظر الناس من المؤرخ شيئاً آخر غير التحقيق، والتلخيص والترتيب. ما هو هذا الشيء الآخر؟ (عبد الله العروي، 2006م، صفحة 26)

من خلال ذلك نفهم أن هناك علاقة بين فن السيرة والتاريخ؛ فالمؤرخ يشتغل على تواريخ الأمم، والدول، والعمران، والحضارات، بينما يعمد الروائي في (أوراق) إلى جعل الوثيقة، أو أوراق الرواية، إلى مادة خامة. ومنطلقاً لإنتاج السرد السيري، ومن حولها الحواشي، وأفكار، وتعليقات، وتصويبات، واستدراكات، واعتراضات، وأفكار علمية وسياسية، وثقافية، وفنية، وعلمية... وغير ذلك، وهو الإطار العام للسرد السيري، في أوراق، الذي تبدأ معاملة منذ الاستهلال الروائي، ويظهر ذلك في الحوار بين شعيب والسارد فيقول:

هذه أوراق إدريس، خذها أنت أقرب الناس إليه، وإلا اشتراها البقال ليحرقها أو يغلف بها الحمص. الكتابة حرفتك. افعل بها ما تراه نافعا. يحتفل الناس بالأربعينية، لنتحتفل بعشرينية إدريس...  
عشرين سنة في ظلمات الاحتلال وعشرين سنة في نور الاستقلال...

\_\_ ليس هو وحده في هذا المجال...

\_\_ تريد أن يطمس ذكره؟

من قال لك إنه كان يرغب في أن يحفظ ذكره؟ من يضمن لنا أن ما ترك هو أحسن وأصدق ما كتب؟ ألا يكون الأهم ما حجبنا عنا واختفى بوفاته؟ الأوراق بلا شك غير متسلسلة أساليها لا شك متنوعة. إذا رتبنا على كيفية ربما حملتها معنى غير الذي أراد إدريس ربما أعطيت عنه صورة غير مطابقة للحقيقة. وإذا نشرت كل ما فيها على حاله ربما ألحقت به الضرر. قد أعطي عنه صورة أقل وفاء من تلك التي خططتها، عندما جعلت منه شخصية خيالية.

\_\_ استعملت اسمه وأقواله وحوادث حياته بدون إذن منه. الآن حان الوقت أن تؤدبه حقوقه.

\_\_ تقول: هذه الأوراق أكتب سيرة إدريس (عبد الله العروي، 2006م، صفحة 15)

يوضح هذا المقطع الحوارية إشكالية قدرة المؤرخ على وفائه للحقيقة التاريخية وفي الوقت نفسه يبقى النص محصورا، في الجانب الذهني لشخصية "إدريس"، إلا أن آليات الكتابة التاريخية، تبقى حاضرة في النص، ومع ذلك تطغى على النص؛ مختلف الأشكال التعبيرية والتي ساهمت في تهجين النص كالمقالات ومقتطفات ومحاضرات... إلخ. فهي على اختلافها تشكل مكونات ذهن "إدريس" على اختلاف مجالاتها من الفكري والسياسي والفني والوجداني، وهي بدورها مكونات ذهنية لشخصية تعبر عن جيل بأكمله، عاش مرحلة حاسمة في تاريخ المغرب تمتد كما يقول شعيب: عشرين سنة في ظلمات الاحتلال وعشرين سنة في نور الاستقلال (عبد الله العروي، 2006م، صفحة 18).

يتضح من خلال ذلك أن "عبد الله العروي" كان له السبق في العالم العربي والمغاربي خاصة، في خلق منهج يسعى للمنافسة بين الذهنية والتاريخي، وتعتبر عملية جمع الكنانيش القديمة، ومحاولة ترتيبها، والتعليق عليها، أمر خاص بالحقل التاريخي البحث، وهذا الأمر يتم وسط نظرة تاريخية، ومنزع علمي،

يصبغان الموضوع بصبغة التمازج الأجناسي، بين مادة جافة ورؤية حية، فالتركيبية هنا جمعت بين فن السيرة، وعلم التاريخ. ما أعطى العمل الأدبي خاصية التجريب والتحديث في الوقت نفسه.

#### خاتمة:

لقد وضح إذن أننا إزاء رواية سير ذاتية، حاول عبد الله العروي فيها تعرية الذات من خلال كشف مدافن الطفولة وتأمّل الأنا، وتشخيصها، فخضع الحكم السير ذاتي للرواية، وتناوشه التخيلي مبتعدا في كل آن عن المرجع وضوابطه، ورغم حرص العروي على الالتزام بالسيرة الذهنية للشخصية الرئيسة؛ بسرد حقائق فكرية/ إيديولوجية، إلا أن الذات التي جاهد في رسم ملامحها، وسعى إلى تتبع أطوار حياتها، ليست ذاتا واحدة معروفة تاريخيا، محددة سلفا، رغم تأريخه ومحاولة إقناع القارئ بأن ماكتبه صادقا، خاصة التشابه بينه وبين الشخصية الرئيسة، إلا أن رواية السيرة الذاتية تفرق بين الذات الساردة وذات المؤلف.

#### \_. قائمة المصادر و المراجع:

##### أ\_ المصادر:

1\_ العروي، عبد الله، (2006 م)، أوراق: سيرة إدريس الذهنية، رواية، المركز العربي للنشر والتوزيع، الدار البيضاء، المغرب.

##### ب\_ المراجع:

- 1\_ الشيكري، مُجّد، (2004م)، العالم الذهني في أوراق، عبد الله العروي، أفريقيا الشرق، المغرب.
- 2\_ العروي، عبد الله، (1995م)، الإيديولوجيا العربية المعاصرة، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء.
- 3\_ العروي، عبد الله، (2006م)، العرب والفكر التاريخي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء- المغرب.
- 4\_ المبخوت، شكري، (1992م)، سيرة الغائب سيرة الآتي: السيرة الذاتية في كتاب الأيام لطفه حسين، دار الجنوب للنشر، تونس.
- 5\_ تودوروف: وآخرون، تر: دومة، خيرى، (1997م)، القصة الرواية والمؤلف، دراسة في نظرية الأنواع الأدبية المعاصرة، دار الشرقيات للنشر والتوزيع، باب اللوق، القاهرة.

- 6\_ جنيت، جيرار، تر: معتصم مُجّد، وآخرون، (1997م)، خطاب الحكاية: بحث في المنهج، الهيئة العامة للمطابع الأميرية.
- 7\_ رحامنية، ليلي، (2016م)، السيرة الذهنية في رواية أوراق لعبد الله العروي، دار الحامد للنشر والتوزيع، الأردن- عمان.
- 8\_ شرف، عبد العزيز، (1993م)، أدب السيرة الذاتية، دار توتيقال للطباعة والنشر، القاهرة.
- 9\_ لوجون، فيليب، تر: حلي، عمر، (1994م)، الميثاق والتاريخ الأدبي، المركز الثقافي العربي، بيروت.

### ج- المقالات:

- 1\_ الأعرج، واسيني، (25 جانفي 1987م) حوارات اليوم الأخير، صحيفة المساء، العدد (02)، الصفحات (18\_09).
- 2\_ الطريطر، جلييلة، (29 ديسمبر 1998م)، في شعرية الفاتحة النصية: حنا مينة أنموذجا، مجلة علامات، جدة، المجلد (07)، الصفحات (149\_142).

